جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الثالث

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الكتابة القديمة في العراق ومصر ومراحل تطورها

أ.م.د.ميسون علي جواد

كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية

الكتابة القديمة في العراق ومصر ومراحل تطورها

أ.م.د. ميسون علي جواد

كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية

المقدمة:

مع التطور التاريخي لحياة الإنسان وتداخل المجتمعات مع بعضها البعض وترابطها، وجد الإنسان نفسه غير قادر على التفاهم مع الغير من المجتمعات الأخرى، ولذلك بذل قصارى جهده في ايجاد الوسيلة التي يستطيع عن طريقها التواصل والتفاهم مع تلك المجتمعات، ولذلك هداه التفكير إلى اختراع الكتابة التي من خلالها يستطيع أيضاً حفظ إنتاجه الفكري وتراثه الثقافي والعلمي من الضياع والاندثار.

وقد مرت الكتابة بمراحل زمنية عدة قبل أن تبلغ القبول والسهولة في الاستخدام، فقد بدأت على شكل صور تدل على معان ومدلولات ملموسة في الحياة اليومية، وقد تم العثور على بعض النقوش والصور عمرها ٣٥٠٠ سنة في كهوف "لاسكو" في فرنسا و" ألتميرا " في إسبانيا.

كما تم العثور على الكثير من النقوش والصور والرموز الدالة على معاني معينة في منطقة الهلال الخصيب وبالتحديد مع الحضارة السومرية وذلك قبل حوالي ٥٥٠٠ سنة.وقد دلت هذه النقوش والرموز على تطور الكتابة عندهم حيث عرفت كتابتهم بالمسمارية أو الإسفينية.

وقد كانت الكتابة في بداية عهدها عبارة عن صور توحي تماما بما رسم فيها.وفي مرحلة اكثر تقدما تطورت إلى صور رمزية توحي بمعنى معين.وتم العثور على حوالي ٢٠٠٠ صورة رمزية، ومما لاشك فيه ان هذه الرموز كانت صعبة الفهم لعامة الناس، فسارعوا إلى استعمال رموز توحي بأصوات معينة، وهذه الرموز الصوتية كانت خطوة أساسية إلى الأمام في تطوير الكتابة.

وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وحاولت الوقوف على تاريخ نشأة الكتابة العربية من خلال البحث في تاريخ الكتابة القديمة في العراق ومصر بانموذجيها المسماري والهيروغليفي، وذلك لمعرفة الصلات والارتباطات والمقارنة بينهما والمراحل التي مرت بهما في تطورهما لتصل الى الشكل الحالي.

فتحدثت عن الكتابة المسمارية التي كانت من الخصائص الاساسية في حضارة الشرق القديم اذ كان اول ظهورها في جنوب بلاد ما بين النهرين في نهاية الالفية الرابعة قبل الميلاد، وقد الحق المكتشفون اسم المسمارية بهذه الكتابة وهي مأخوذة من كلمة لاتينية معناها مسمار، اطلقت على تلك العلامات حادة الشكل، وقد جاء هذا الانطباع نتيجة استخدام قلم محدب لعمل علامات ذات ابعاد ثلاثية على سطح طيني في اغلب الاحيان.انتشرت الكتابة المسمارية عبر الشرق الى ان وصلت ذروتها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتى ظهرت في مصر، وقد تنوعت اشكال الوثائق المكتوبة بهذه الطريقة في الادب الرفيع الى السجلات العلمية مع كل الانواع الاخرى للمادة المكتوبة من الترانيم السحرية والكتابات العلمية والمراسلات الى كتابة التاريخ، وتناول ايضا كيفية فك الرموز المسمارية ومحاولة العلماء والباحثين في قراءتها، ثم استعرضت ايضا موضوع كتبة بلاد ما بين النهرين، فذكرت ادوات الكتابة التي ذكرها الخطاطون والمواد التي كان يكتب عليها بدءاً من الصلصال والبوص التي توجد في السهل الرسوبي لنهري دجلة والفرات، ولقد كانت هذه المواد تستخدم في صنع الواح تتم الكتابة عليها وكذلك صناعة الاقلام التي يتم بها نقش او حفر الرموز على سطح الطين او الصلصال.

ولقد كانت الواح الصلصال تحتاج الى تصفية وتنقية طويلة واضافة عامل مزيل للشحم لوقايتها من التشقق اثناء التجفيف وبعد ان يفرغ الكاتب من كتابة النص، فانه يترك اللوح لكي يجف.

ان تعقيد الكتابة المسمارية قيد استخدامها في المجتمع، فالفئة الصغيرة من الكتاب فقط هم الذين كان في استطاعتهم الكتابة ومن الصعب حساب عدد الكتاب والخطاطين الذين كانوا يعملون في حقبة معينة الا ان تلك المهمة انجزت حديثاُ.

وتحدثت الباحثة ايضا عن الكتابة القديمة في مصر فقد ظهرت في اواخر الالف الرابع قبل الميلاد عندما عرف المصريون الكتابة، وتحدثت عن الرموز والعلامات القديمة وتطورها بدءا من الكتابة الهيروغليفية في الحضارة الفرعونية التي تعني الخط المقدس(او النقش المقدس) والواقع ان الهيروغليفية هي الاصل الاول من الكتابة التي تطورت عنه كل انواع الكتابة الاخرى التي ظهرت بعد ذلك في مصر، وقد بدأ المصري الكتابة بها منذ الاسرة الاولى حوالي ٣١٨٠ق.م، واستمرت حتى نهاية النصف الاول من الاسرة الثماني عشرة، وسميت الكتابة في هذا العصر ب(المصري الكلاسيكي) فقد وصلت فيه الهيروغليفية بصيغها وقواعدها النحوية ما يمكن تسميته بالعصر الذهبي، وحافظ المصريون القدماء على الكتابة بالهيروغليفية في كل عصورهم، وبعد الف عام

تقريبا نشأ نوع سريع من الكتابة استعمل جنبا الى جنب مع الكتابة القديمة معتمدا على الصورة المختصرة، وقد سجلت في الشؤون الحكومية وشؤون الحياة اليومية ايضا، وهو ما يعرف بالهيراطيقي (بمعنى الخط الكهنوتي)، وقد بدأ استخدامها من النصف الثاني للأسرة الثامنة الى الاسرة الرابعة والعشرين، وخلال القرن الثامن او السابع عشر قبل الميلاد استحدث المصريون خطا ثالثا كان اكثر ايجازا في صوره عن خطهم الثاني وقد عرف بالخط الديموطيقي (أي الخط الشعبي) واستخدم هذا الخط من بداية الاسرة الخامسة والعشرين الى نهاية العهد الروماني، اما اخر الخطوط فكان الخط القبطي المشتق من الكلمة اليونانية ايجوبتي وتعني مصري الذي ظهر مع الغزو اليوناني للأراضي المصرية.

المبحث الاول:

الكتابة القديمة في العراق:

نشأتها: بدأ الانسان الاول باستخدام علامات ورموز مختلفة من البيئة المحيطة به لاستعمالها وسيلة للاتصال بغيره ولتسجيل افكاره، وكان ينقش ما يود تسجيله على جدران الكهوف فكان يرسم بعض الصور والرموز تعبيرا عما يريد ايصاله الى الاخرين الى ان توصل الى الهجائيات والالفبائيات المختلفة، فكان اختراع الكتابة ذا اهمية كبرى في تطور الجماعات الانسانية[١].

وترجع بوادر الكتابة في حضارات ومواقع مختلفة ومتعددة في العالم القديم ولكن السبق هو للسومريين في بلاد ما بين النهرين القديمة باختراع اقدم شكل من الكتابة التي ظهرت حوالي ٣٥٠٠ق.م، وكانت كتابة وادي الرافدين اقدم كتابة في تاريخ الحضارات جميعها فهي تسبق الخط الهيروغليفي المصري بأكثر من قرن [٢]، وقد اكتشف علماء الآثار من المعهد الشرقي في موقع تل اسمر في العراق، بعض الالواح الطينية من تحت التراب التي تعود لسنة ٣٢٠٠ق.م، وكانت الكتابات في هذه الالواح هي صورة بسيطة او رموز صورية، ولان الطين مادة يصعب رسم الخطوط او الاقواس عليها، اضطر سكان ما بين النهرين الى اختزال الرموز الصورية الى رموز

---

[١] هاني عبد الرحيم ابراهيم، تاريخ الكتابة والمكتبات واوعية المعلومات، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٣.

[٢] طه باقر، تاريخ العراق القديم، مطبعة صلاح الدين، بغداد، ١٩٨٧م، ج١، ص٩٨.

مسمارية بأن كبسوا على الطين بأقلام مثلثة من القصب وبذلك اصبحت الرموز تنتهي بما يشبه المسامير، ومن هنا نشأ اسم الكتابة المسمارية المأخوذة عن اللاتينية وتعني(form cuneus) شكل مسمار، واتخذوا وضعيات محدودة للمسامير الافقية والعمودية والمائلة ومسمار بهيئة رأس السهم وكانت حينذاك تتألف من ٦٠ رمزاً.[١]

وكان السومريون يحتفظون بالرقم الطينية في اماكن خاصة داخل المعابد او القصور الملكية او المدارس، وقد عثر على بقايا هذه المكتبات او مراكز التوثيق في المدن السومرية الكبرى مثل لاغاش واوروك(هي الوركاء بالناصرية) ونيبور، وهذه الرقم في الواقع تعود الى ٢٠٠٠ق.م.[٢]

كذلك عثر على بعض اللوحات الطينية في كيش وجمدة نصر اذ سجلت عليها بعض الصور والرموز لأعدادها مما يوضح اهمية الدافع الاقتصادي في عملية التواصل الى اختراع الكتابة، فإدارة المعبد كان لها فضل كبير في ظهور التدوين، وقد نشأت الحاجة الى الابداع في الكتابة ورصد الكواكب لتدوين السجلات والصلوات وحفظ اوقات السنة الصالحة لزراعة انواع الحبوب او الامن من الفيضان او الجفاف [٣]، كما كان للدافع الديني المعبر عن القوى الالهية دوره في اختراع الكتابة [٤]، وقد كانت اداة لتسجيل الشؤون الدينية في الاحتفالات الدينية والمراسم والقصص والصلوات والتراتيل. [٥]

وعثر ايضا في معبد(أي–إنا) على الواح من الطين مكتوبة بعلامات صورية مما يدل على اهمية المعبد منذ القدم. [٦]

---

[١] موقع د.بهنام ابو الصوف، الكتابة والتدوين في بلاد سومر .http: llwww.abualsoof.com\index.asp

[٢] ستيبشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة، محمد الارناؤوط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٦٩، ج ١، ١٩٩٣، ص ١٢.

[٣] يوسف الحوراني، الانسان والحضارة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٤٤.

[٤] احمد امين سليم، دراسات في حضارة الشرق الادنى القديم، المرجع السابق، ص ١٥٦.

[٥] سعيد اسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٤١.

[٦] طه باقر، مصدر سابق، ص٩٨.

وقد اكد هنري فرانكفورت في كتابه (فجر الحضارة) فضل المعبد في ظهور الكتابة بقوله: "وفي هذه المعابد نجد دلائل اختراع جديد لولاه لتعذر القيام بمنشآت عظيمة كهذه، ولتعذر في الحقيقة تنظيم مجتمع على هذا المستوى العالي من التنظيم وهو الكتابة".[١]

فضلا عن ذلك عثر في جمدة نصر[٢]، على ما يسمى فخاريات جمدة نصر، وعدَّ الفخار السمة المميزة لفترة حضارية سبقت بدء عهود التاريخ مباشرة، وتوجب رسم خط تاريخي فاصل فتمكن الباحثين من عدِّ اختراع الكتابة اشارة لبدء عصر جديد ومن هنا جاء مصطلح الدور الشبيه بالكتابي (المقترح من مدرسة شيكاغو للمستشرقين) اي لجؤوا الى تسمية (الدور) بدل (الحضارة) لعدم وجود اختلافات اساسية في العناصر الحضارية بين الشبيه بالكتابي ودور اوروك [٣]، لذا فقد عدٌّ المؤرخون الكتابة حدا فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، ومع اكتشاف الكتابة امتلك الانسان اداة لتسجيل تاريخه، ففي الالف الرابع قبل الميلاد بدأت بوادر الكتابة الصورية في مدينة الوركاء(اوروك) في الناصريةثم جاء بعد هذه المدة عصر جديد عرف بالعصر الشبيه بالكتابي او عصر فجر الكتابة (٣٥٠٠-٢٨٠٠ق.م) واهم ميزات هذا العصر هو اختراع الكتابة لاول مرة في تاريخ الحضارة [٤]، وقد كانت كتابة السومريين في بدايتها رموز معاني بسيطة ومركبة وتبعهم بعد ذلك البابليون والاشوريون الذين ورثوا عن السومريين طريقة الكتابة، وطوروها وحولوها الى كتابة مقطعية كاملة، وغيروا من حالات كثيرة من رموز المعاني بما يناسب لغتهم ومن ثم رموز الاصوات المأخوذة عنها، وهكذا فان الشكل النهائي للكتابة السومرية لم يكن وليد فترة زمنية قصيرة، فهي بدات مع الحضارة السومرية ثم نمت وتطورت في الحضارات اللاحقة لها، ومرت بالمراحل التقليدية للكتابة [٥].

مراحل تطور الكتابة السومرية:

لقد مرت الكتابة السومرية بمراحل عدة:

---

(١) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الادنى، ميخائيل خوري، ط٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٠، ص٧١.

(٣) تقع على مسافة ٥٥كيلو متر شمال شرق الحلة، و٢٤كيلو متر شمالي شرقي الحلة، و٢٤كيلو متر شمالي شرقي كيش.نقلا عن (احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٦.

(٣)حسين علوان حسين، العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م، ص١١٤.

(٤) طه باقر، مصدر سابق، ج١، ص٤٥.

(٥)سيد حسب الله، محمد جلال غندورة، تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الانسانية، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٦، ص ٧٤.

١. **المرحلة الصورية:** ويقصد بها كتابة الشيء من خلال رسمه، فقد استعمل السومريون في بداية استعمالهم الكتابة رموز المعاني للتعبير عن الاشياء المراد طرحها، فاذا اراد الكاتب السومري كتابة كلمة شجرة فانه يرسمها، او كتابة كلمة يد فانه يرسم يدا تكاد تكون حقيقية، وبداية الكتابة السومرية في هذا الشكل الصوري يشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية، اذ تعبر عن الاشياء بصورة تعكس شكلها الحقيقي، فكانت تستوحي من صور العالم المرئي كالانسان وبيئته والماشية وطرائد الصيد البحري والنهري والنباتات، ولكن هذه الرموز تتعلق بتدوين كلمات او افكار معينة ولا يمكن عد هذه الاشكال التصويرية كتابة فعليةن فالرمز لم يكن بالضرورة شيئا محددا واحدا بل اشياء عدة او افعال مثل المحراث الذي كان يرمز للحارث او الحراثة او الاداة ايضا.

٢. **المرحلة الرمزية:** كان لصعوبة التعبير عن بعض الافكار، السبب الرئيس في الانتقال الى الرمحلة الاخرى، وهي طريقة التعبير عن الافكار والمعاني المجردة بالصور بان يرسموا الصور المادية باختصار علاماتها (اختصار مساميرها) فظهرت بشكل مختصر بحيث لا تشبه العلامة السابقة تماما بالشكل وكذلك لا تعبر عن الشيء المادي فقط بل وتعبر عما يدور من حوله من افكار ذات صلة بالشيء المادي، فمثلا اصبحت صورة القدم بحسب هذه المرحلة لاتعني القدم فقط بل وتعني اي شيء اخر له صلة بالقدم مثل (القيام، والمشي، والوقوف والخروج، والدخول...)، وصارت صورة الشمس لا تعني الشمس وانما المعاني المشتقة منها مثل(الحرارة، والضوء، والليل، والنهار، واليوم...).

وقام الكاتب بدمج علامتين او اكثر للتعبير عن شيء ما، فمثلا اذا اراد الكاتب التعبير عن الفعل (اكل) رسم صورة الفم وفي داخله قطعة خبزن واذا كتب كلمة (شرب) فانه يرسم الفم وفي داخله صورة الماء، وبجمع المرحلتين الصورية والرمزية صار بالإمكان التعبير عن معان وجمل كثيرة[١].

ولكن الكتابة بقيت ناقصة لصعوبة التعبير عن الآراء المجردة مثل الامانة والصدق والمشاعر كالحب والبغضاء، فلم تشتمل الكتابة كل مفردات اللغة السومرية، حتى توصلوا الى المرحلة الثالثة والاخيرة في سلم تطور الكتابة المسمارية وهي المرحلة الصوتية (المقطعية).

---

[١] بهيجة خليل اسماعيل، وآخرون، الكتابة وحضارة العراق، ج١، بغداد ١٩٨٥، ص٢٢٤.

٣. **المرحلة الصوتية:** وتعد اهم المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية ويقصد بها اعطاء اصوات للعلامات تتناسب ولغتهم مجردة عن مدلولها الرمزي والصوري اي استعمال اصوات الاشياء المادية التي تمثلها تلك الصور لاستعمالها في كتابة الكلمات والجمل على هيئة اصوات وبجمع اصوات عدة يكوِّن كل منها مقطعا وليس حرفا لانهم لم يصلوا الى الطور الهجائي (استعمال الحروف الهجائية) [١]، وتعد المقاطع بـ٣٠٠ علامة، وفيما بعد ضمت الكلمات بعضها لبعض لتتكون منها الكلمات والجمل اي ان الكلمة الواحدة تتألف من مقاطع عدة.[٢]

فالسهم استعمل للدلالة على اداة القتال ثم استعمل نطقها (تي) للتدليل على الحياة، وهي كلمة تنطق في لغتهم (تي) ايضا وللتفرقة بين المعنيين اضافوا علامة السهم (تي) بمخصص وهو قطعة من الخشب للدلالة على ان الكاتب يقصد (السهم) المصنوع من الخشب وليس الحياة، وقد نتج عن هذا التطور في الكتابة ان بقيت حتى بعد السومريين، فقد اقتبسها الاكديون والبابليون والآشوريون، وقد انتشر الخط المسماري الى اقطار عدة مجاورة مثل بلاد عيلام واقتبسه الحوثيون وانتشر في بلاد الشام.

المبحث الثاني:

الكتابة المسمارية:

خلف السومريون والبابليون ارثا ادبيا غزيرا يتصف بالأصالة والتنوع ويعد الاكثر قدما، فاقدم النصوص السومرية المعروفة حتى الان يعود تاريخها الى ٢٤٠٠ق.م، وبذلك فقد كان للسومريين ومن بعدهم البابليين اسهام كبير وفعال في اغناء الفكر الانساني، لكن يبقى فضل هذه الحضارة في تعليم الناس الكتابة في مقدمة المنجزات العظيمة التي افادت الشعوب القديمة، فبوساطتها تدون الكلمة وتحفظ وتنقل الى الاجيال القادمة [٣].

تعد الكتابة المسمارية أهم المقومات الحضارية التي حققها الإنسان العراقي القديم، إذ كان له الفضل في وضع الأصول الأولى لتدوين تاريخ البشرية، كما تركت تلك الكتابة أثرا كبيرا وواضحا على مجمل المنجزات الحضارية اللاحقة التي توصل إليها ذلك الإنسان الرافديني

---

[١] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد ١٩٧٣، ص٣٠٨- ٣٠٩.

[٢] تركي عطية الجبوري، الكتابات والخطوط القديمة، مطبعة بغداد، ١٩٨٤، ص ٨٤.

[٣] فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة. دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٧ص ٥٧.

الخلاّق، والتي لولاها لما أستطاع أن يسجل لنا علومه ومعارفه وتراثه، ومن ثم ينقله إلى الأجيال المتعاقبة.

كان عدد العلامات المسمارية في بداية ظهور الكتابة قد بلغ الآلاف ثم تم اختزالها كلما تقدم الزمن، وتطورت الكتابة واللغة معاً حتى وصل عدد العلامات في نهاية المطاف إلى حوالي ٦٠٠علامة وذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ولتدون فيها أهم وأشهر وأقدم لغتين في العالم ألا وهما اللغة السومرية واللغة الأكدية بفرعيها البابلي والآشوري.[١]

مواد الكتابة المسمارية

أستخدم الكتبة قلم من القصب مثلث الرأس فبعد أن كانت تتشابه الكلمات –في بداية ظهور الكتابة– بين رسمها ومعناها أصبحت تشبه المسامير في شكلها وبدأت تفقد شكلها الصوري، ومن هنا جاءت تسميتها بالكتابة المسمارية (cuneiform)، وأضحت العلامات متكونة من خطوط مستقيمة وأفقية وعمودية ومائلة.

كان الطين من أهم المواد التي دونت الكتابة المسمارية عليه في بلاد سومر وأكد، لأنه الأكثر شيوعا والأرخص ثمنا، وكان يحضر من طين حر (خالي من الشوائب) لصناعة رقم الطين وتم العثور على آلاف الرقم الطينية في جنوب ووسط وشمال بلاد الرافدين ومحفوظه الآن في معظم متاحف العالم، ولكن مع الأسف لم يقرأ منها الا الشى القليل، وبقي القسم الآخر منها وهو أكثرها تحت الأرض ينتظر معاول المنقبين.

أتجه الخط المسماري في تدوينه من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل، ويبدأ بالكتابة على وجه اللوح ثم القفا (الظهر) وكان يستخدم الكاتب في أحيان الحواشي (الحافات) السفلى والعليا واليسرى لتدوين ما تبقى من معلومات، ولا يجوز إطلاقاً (بتاتا) الكتابة على الحافة اليمنى لأنها استمرار الكتابة على الوجهين فعندما ينتهي السطر الأول على الوجه أو القفا وبقى للكاتب علامة واحدة فأنه لا يضعها في سطر منفرد لحالها بل يكتبها مع السطر الأول على الحافة اليمنى لإتمام المعنى، يترك الكاتب الرقيم بعد الكتابة عليه ليجف في الشمس أو يضعه في أفران أو كور خاصة للشي (للشواء) ونجد في بعض الأحيان طبعات الأختام على تلك النصوص.

يأتي الآجر والحجر بالمرتبة الثانية في تسلسل المواد المستخدمة في التدوين من حيث العدد والأهمية أما المعدن والخشب فظهر أو استخدام بشكل قليل، بل ونادر وذلك بسبب افتقار بلاد

---

[١] موقع د.بهنام ابو الصوف، الكتابة والتدوين في بلاد سومر مصدر سابق

http:llwww.abualsoof.com\index.asp

ما بين النهرين للمواد المعدنية وكذلك الأخشاب، علاوةَ على إن الخشب مادة عضوية قابلة للتلف، كما ورد ذكر العاج في المصادر المسمارية.

ظلت الكتابة المسمارية متمثلة بخطها المسماري الشهير مستعملة (مستخدمة (بالتدوين حتى بعد انتهاء أخر حكم سياسي عراقي وطني في عام ٥٣٩ق.م، ولكن بشكل وعدد قليل وذلك بسبب انتهاء الدعم السياسي لها أولاً ومن ثم ظهور وانتشار وبساطة اللغة الآرامية الأبجدية التي طغت على خطوط ولغات العالم القديم، وآخر نص مسماري وصل ألينا هو نص فلكي يعود إلى سنة ٥٠ميلادية ومحفوظ الآن في المتحف العراقي، وهكذا أسدل الستار على أول وأعظم كتابة في العالم القديم.

وقد اختلف المؤرخون على جهة اختراع الكتابة المسمارية فيما اذا كان السومريون ام غيرهم، لكن ممكن ترجيح الساميين على السومريين بدلائل عدة مهنا:

اولا: ان الخط المسماري الذي نسب اختراعه الى السومريين كان قد ظهر في الالف الرابعة قبل الميلاد لأول مرة (قبل ان يكون السومريون قد وجدوا بعد) على هيئة الواح صورية.

ثانيا: ان اول كتابة صورية معروفة واقدمها وصلت الينا من كيش السامية وليس من سومر التي اكتشفت في الوركاء فيما بعد، بل كانت منقوشة على الحجر وتعود الى حوالي عام ٣٠٠٠ق.م.[١]

ثالثا: ان الساميين تواجدوا في المنطقة قبل السومريين فلو كان الخط المسماري من نتاج السومريين وحدهم لكان الساميون اخذوا معه اللغة السومرية التي كانت تستعمل مع الأكدية السامية في كيش.[٢]

رابعا: ان السومريين استعاروا كلمات اكدية وادخلوها في لغتهم السومرية، وهذا يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في الاستيطان في وادي الرافدين.

خامسا: ان الرأي الذي ابداه بعض الباحثين من ان اهل حضارة العبيد هم الذين اكتشفوا الخط المسماري ينسجم مع الواقع التاريخي، ولما كانت الدلائل تؤيد بان حضارة العبيد سامية بدليل وجودها في البلاد السامية المجاورة وهي سوريا وجزيرة العرب والخليج العربي والعراق فلا يمكن ان تكون حضارة العبيد العراقية الا من الساميين ايضاً[٣].

---

[١] احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، مصدر سابق، ص ٤٢.

[٢] المرجع السابق، ص٤٣.

[٣] سعيد اسماعيل علي، التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم، القاهرة ١٩٩٥، عالم الكتب، ص ٣٥.

سادسا: لقد ثبت مؤخرا بعد اكتشاف لغة بيلا السامية في (تل مرديخ) بسورية التي تعود الى سنة ٣٠٠٠ق.م انهم قد استعملوا الخ المسماري بلغتهم الابيلوية، مما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في اكتشاف الخط المسماري واستعملوه في كتابة لهجتهم الكنعانية القديمة.[١]

المبحث الثالث:

الكتابة الهيروغليفية:

نشأتها:

احتاج الفراعنة إلى تدوين أفكارهم خوفا عليها من الاندثار، فتضيع الفائدة من استمرار المعرفة، ولما كان الفكر في بداياته الأولى مسخراً للدين والعقيدة، بدا طبيعيا أن تتخذ الكتابة صبغة مقدسة، فكانت الكتابات الدينية تكتب باللغة الهيروغليفية، وهي تعني النقش أو الحفر المقدس، وقد ظلت تلك اللغة لغةً لقدماء المصريين في الدولتين القديمة (٣٢٠٠/٢٢٤٠ ق.م) والوسطى (٢٢٤٠/ ١٧٤٠ق.م).

ويرجع أقدم نصوصها إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، واستمر استخدام هذه اللغة إلى الدولة الحديثة (أي حوالي ألفين قبل الميلاد).

ويمكن تقسيم الهيروغليفية إلى فئتين: أيدوجرامية (IDEOGRAMIC) وهي رموز تدل على رسم الكلمات، وفونوجرامية (PHONOGRAMIC) تدل على الأصوات، باستخدام رموز تدل على تعيين المعنى، وقد اتخذت تلك الأخيرة أساسا للأبجدية الهيروغليفية التي بلغ عدد حروفها (٧٠٠) حرفاً.[٢]

ويرجع الفضل في معرفة أسرار الكتابة الهيروغليفية إلى اكتشاف حجر رشيد، وهو حجر نقش عليه نصوص هيروغليفية وديموطيقية ويونانية، وكان مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفية، سُمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط، اكتشفه ضابط فرنسي في ١٩ يوليو عام ١٧٩٩م إبان الحملة الفرنسية أثناء حفره لبعض الخنادق الدفاعية، وقد نقش عام ١٩٦ ق.م، وهذا الحجر عبارة عن مرسوم ملكي صدر في مدينة منف عام

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

[٢] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٨

١٩٦ ق.م. وقد أصدره الكهان تخليداً لذكرى بطليموس الخامس، وعليه ثلاث لغات الهيروغليفية والديموطقية (القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين) والإغريقية، وكان وقت اكتشافه لغزاً لغوياً لا يُفسر منذ مئات السنين، لأن اللغات الثلاثة كانت وقتها من اللغات الميتة، حتى جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخرى، وكانت الهيروغليفية اللغة الدينية المقدسة متداولة في المعابد، واللغة الديموطيقية كانت لغة الكتابة الشعبية (العامية المصرية)، واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، وكان قد ترجم إلى اللغة اليونانية لكي يفهموه، وكان محتوى الكتابة تمجيدا لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة.

وفضلا عن ان "الهيروغليفية" التي كانت لغة الكهنة والمثقفين والمكاتبات الرسمية في الدولة، وجدت لغتان عُرفتا باسم (الديموطيقية: Demotique) و(الهيراطيقية: Hieratique) وكانتا من اللغات المكتوبة، وقد وجد العديد من النقوش ولفائف البردي المكتوبة بهذه اللغات، التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام قبل الميلاد.[١]

مراحل تطورها:[٢]

لقد عني المصري القديم بتسجيل كل شيء كتابة من اصغر حدث الى اعظم ما يمر به، كما دون النصوص الادبية لكنها لم تصل الينا كاملة اما النصوص الدينية التي كانت منتشرة في المقابر فهي وصلت الينا كاملة لذلك اعتنى المصري بالكتابة وعمل على تطويرها لتناسب احتياجاته وظروفه، ومرت الكتابة بمراحل عدة هي:

١. **المرحلة الصورية:** عندما كانت ترسم المادة عينا فاذا اراد انسان ان يرسل رسالة يقول فيها انه ذاهب الى صيد السمك فانه يرسم صورة رجل بيده قصبة في راسها شخص متجه نحو بحيرة سمك.
٢. **المرحلة الرمزية:** وفيها استنبط فيه الانسان صورا ترمز الى المعنى فمثلا صورة الشمس للتعبير عن الضياء.

---

(١) * موسوعة ويكيبيديا الحرة www.wikipedia.org

(٢) اسراء محمد عبد ربه، الكتابة المقدسة الهيروغلوفية، كاتبة وباحثة في جمهورية مصر العربية، دورية الكترونية محكمة ربع سنوية، السنة الثانية، العدد الثالث.

٣. **المرحلة المقطعية:** وهي بداية الكتابة بالفعل اذ اصبحت الصورة لا علاقة لها بهجاء الكلمة كما في الكتابة المصرية والبابلية، وهي الصورة واصواتها، مثلا اذا اراد الكاتب ان يكتب كلمة تبدا بالمقطع (يد) كما في (يهس او يدخر) فانه يرسم صورة يد ويعتبرها مقطع هجائي لا يراد بها الكف نفسه.

٤. **المرحلة الصوتية:** وفيها يلجا الكاتب الى استخدام الصورة للتعبير عن الحرف الاول وكرمز للهجاء الاول من اسم الصورة أي ان صورة الكلب ترمز الى حرف الكاف وصورة الغزال ترمز الى حرف الغين مثل ما يقرأه الصغار في دروس القراءة.

٥. **المرحلة الهجائية:** عندما اشتدت الحاجة البشرية الى التقدم في الكتابة تم اختراع العلامات وذلك في حدود ٣٢٠٠ق.م، اذ نشأت الكتابة الهيروغليفية في مصر والمسمارية في العراق.

وكلمة هيروغليفية تعني "نقش مقدس" فقد اشتقت كلمة هيروغليفي من الكلمتين اليونانيتين(هيروس) و(جليفوس) وتعنيان الكتابة المقدسة، وكانت تستخدم للكتابة على جدران الاماكن المقدسة مثل المعابد والمقابر، اذ تعنى تعني النصوص الهيروغليفية بكافة الامور التي يراد لها ان تبقى مكتوبة الى الابد وكانت تنقش على الاحجار بأسلوب النقش البارز او الغائر على الجدران الثابتة والاثار المنقولة مثل التماثيل واللوحات، وكانت معظم النصوص المصرية الهيروغليفية مكتوبة من اليمين لليسار مثل اللغة العربية واللغة العبرية.. وذلك بنسبة ٩٦% تقريبا.. فقط حوالي ٤% من هذه النصوص مكتوبة من اليسار لليمين مثل اللغة الإنجليزية.. وهذه الحقيقة تتضح بجلاء في نصوص الأهرام.. وهي أكثر النصوص المصرية كثافة.. ثم نصوص كتاب الموتى.. ونصوص حجر باليرمو ونصوص حجر رشيد ونصوص المقابر والمعابد والأكفان والتوابيت والمسلات وغيرها من عشرات النصوص المسجلة على كافة الأوساط المصرية القديمة.

وعلى المعابد والمسلات تكتب الهيروغليفية بلا صعوبة من فوق إلى أسفل وهذا ما نجده مثلا على جانبي باب، نجدهما مكتوبان من اعلى إلى أسفل بنفس النص تقريبا على ناحتي الباب، وفوقهما نجد كتابة من اليمين إلى اليسار.

من الناحية النظرية يمكن أن تكتب الكلمات من اليمين لليسار أو من اليسار لليمين ونعرف اتجاه الكتابة من اتجاه أوجه صور العلامات، فإذا كان وجه علامة النسر.. مثلا.. ينظر لليمين فإن اتجاه الكتابة يكون من اليمين لليسار.

أما إذا كانت أوجه العلامات تنظر لليسار فإن اتجاه الكتابة يكون من اليسار لليمين كما يمكن كتابة العلامات أو الكلمات أو المصرية من أعلى لأسفل دون الإخلال بالمعنى كما هو واضح في نصوص الأهرام.

والعبارة الواحدة أو الكلمة الواحدة يمكن أن تحتوي على حروف أو علامات مرصوصة أفقيا ورأسيا في آن واحد والذي يحكم ذلك هو توفير مساحة الكتابة لأقصى حد ممكن لأن المصريين القدماء كانوا يكتبون نصوصهم بالحفر على الصخر فكان لابد من توفير أكبر قدر ممكن من مساحة الكتابة ولنفس هذا السبب يمكن أن تكتب الحروف أو العلامات داخل بعضها البعض مما يوفر مقدارا أكبر من مساحة الكلمات، كما أن الشكل الجمالي للكلمة يلعب أيضا دورا مهما في هذا الأمر[١].

تاريخ الخط الهيروغليفي وانواعه:

كتبت اللغة المصرية القديمة بخطوط أربعة هي: الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية، والقبطية، وهي خطوط لم تظهر كلها في وقت واحد وإنما جاءت في إطار تتابع زمني يعبر عن الامتداد الزمني الطويل الذي عاشته اللغة المصرية القديمة ويعبر في نفس الوقت عن النضج الفكري للإنسان المصري القديم والذي أدرك أن متطلبات الحياة قد تتطلب بين الحين والآخر أن تكون بينها وبين الأداة المعبرة عن اللغة، وهي الكتابة، تناسق ولأن الخط الهيروغليفي – خط العلامات الكاملة – هو أقدم الخطوط المصرية وأطولها عمراً وأكثرها وضوحًا وجمالاً، فقد لجأ المصري في بعض المراحل الزمنية إلى تبسيطه وتمثل ذلك في الخط الهيراطيقي، ثم لجأ إلى تبسيط آخر في مرحلة تالية، وتمثل ذلك في الخط الديموطيقى، الأمر الذي يعني أن هناك علاقة خطية واضحة بين الخطوط الثلاثة. أما الخط الرابع من خطوط اللغة المصرية القديمة وهو الخط القبطي فقد كتب بالأبجدية اليونانية مضافاً إليها سبع علامات من الكتابة المصرية القديمة في شكلها الديموطيقيي لم يتوفر نطقها في العلامات اليونانية :

١) **الخط الهيروغليفي:** ساد في العصور الفرعونية من بدايتها عند العصر العتيق وحتى نهاية الدولة الفرعونية بعد الدولة الحديثة ثم بدأت بالانقراض، اشتقت كلمة هيروغليفي من الكلمتين اليونانيتين هيروس وجلوفوس وتعنيان "الكتابة المقدسة" اشارة الى انها كانت تكتب على جدران

[١] الموسوعة الحرة، ويكيديا. مصدر سابق.

الاماكن المقدسة كالمعابد والمقابر "والكتابة المنقوشة" لانها كانت تنفذ باسلوب النقش البارز او الغائر على جدران الاثار الثابتة (المباني) وعلى الاثار المنقولة (التماثيل واللوحات...)

٢) **الخط الهيراطيقي:** الذي استخدم لكتابة الوثائق الدينية والطبية والادارية والعلمية والادبية وقد واكب تطوره تطور الخط الهيروغليفي، وقد اشتقت كلمة هيراطيقي من هيراتيكوس وتعني الخط الكهنوتي اي خط رجال الدين لان الكهنة ورجال الدين هم من استخدم تلك الكتابة كثيرا في اعمالهم كافة، وتم الكتابة على الخزف والخشب وان الكتابات المصرية معظمها سجلت بالهيراطيقية [١].

٣) **الخط الديموطيقي:** الذي ساد بعد انتهاء الدولة الحديثة في عصر الاضمحلال الاخير لسهولتها عن الهيروغليفية والهيراطيقية وهو مشتق من الكلمة اليونانية ديموس وتعني الشعبي وسمي بخط المكاتبات الشعبية نظرا لانتشارها بين ابناء الشعب كافة.

٤) **الخط القبطي:** وهو اخر الخطوط المصرية ظهورا وكلمة قبطي مشتقة من الكلمة اليونانية ايجوبتي وتعني مصري اذ دعت الحاجة لوجود خط اكثر بساطة ليسهل التعامل ما بين المصري والادارة اليونانية للبلاد وسادت تلك اللغة ومعها العديد وذلك لتنوع من كانوا يعيشون في مصر في تلك المدة فمن الفراعنة ثم الفرس والبطالمة والاغريق واليونانيون واليهود والرومان فتعددت اللغات والكتابات فكانت كتابة معينة تسود في عصر معين ولكل مجال كتابة فظهر هذا الاختلاف والتنوع بوضوح في العصر الروماني ثم بعد ذلك تم الفتح الاسلامي لمصر وبذلك بدأت اللغات الاخرى في الانحسار حتى سادت العربية ولكنها لا تعد من كتابات مصر القديمة لأنها لم تنتشر الا في العصور المتقدمة نسبيا.

النتائج:

وقد توصلت الباحثة الى نتائج عدة منها:

١. ان الكتابة في العراق اسبق نشوءا عما في مصر بأكثر من قرن.
٢. كانت الكتابة آنذاك تتم عن طريق النقش على الحجر ثم البردي ثم والورق.
٣. مرت الكتابة المسمارية والهيروغليفية بمراحل عدة اولها المرحلة الصورية، والثانية المرحلة الرمزية، والثالثة المرحلة الصوتية.

---

[١] الموسوعة الحرة، ويكيديا.مصدر سابق.

٤. سميت الكتابة السومرية بالمسمارية لأنها تشبه الاسفين او المسمار، اما الكتابة الهيروغليفية فأنها تعني النقش المقدس.
٥. تنوعت الكتابة المصرية من الهيروغليفية ثم الهيراطيقية والديموطيقية واخيرا القبطية.

المصادر:

١. احمد امين سليم، دراسات في حضارة الشرق الادنى القديم.
٢. اسراء محمد عبد ربه، الكتابة المقدسة الهيروغليفية، كاتبة وباحثة في جمهورية مصر العربية، دورية الكترونية محكمة ربع سنوية، السنة الثانية، العدد الثالث.
٣. بهيجة خليل اسماعيل، وآخرون، الكتابة وحضارة العراق، ج١، بغداد ١٩٨٥.
٤. تركي عطية الجبوري، الكتابات والخطوط القديمة، مطبعة بغداد، ١٩٨٤
٥. حسين علوان حسين، العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.
٦. ستيبشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة، محمد الارناؤوط، الكويتن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٦٩، ج ١، ١٩٩٣.
٧. سعيد اسماعيل علي، التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم، القاهرة ١٩٩٥، عالم الكتب.
٨. سيد حسب الله، محمد جلال غندورة، تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الانسانية، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٦.
٩. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد ١٩٧٣.
١٠.طه باقر، تاريخ العراق القديم، مطبعة صلاح الدين، بغداد، ١٩٨٧م، ج١.
١١.عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٨
١٢..فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٧.
١٣.هاني عبد الرحيم ابراهيم، تاريخ الكتابة والمكتبات واوعية المعلومات، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، ٢٠٠٦.
١٤.يوسف الحوراني، الانسان والحضارة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
١٥.موقع د.بهنام ابو الصوف، الكتابة والتدوين في بلاد سومر
http: llwww.abualsoof.com\index.asp.
موسوعة ويكيب الخط الديموطيقي يديا الحرة www.wikipedia.org